موسكو تواجه، راهناً، مشاكل جدية في سياستها الشرق أوسطية، بسبب توتّر علاقاتها مع الدول العربية نتيجة هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل، ناهيك عن ان عدداً من الدول العربية الحليفة لها بدأ يشكّك في مدى ثبات موقفها؛ وبالتالي، «فان للسوفيات بعض الاسباب التي تدفعهم الى اعادة تطمين حلفائهم وتبنّي مواقفهم» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٤/٦/١٩٩٠).

ربّما كان في هذا الوصف شيء من الحقيقة، خصوصاً ان عدداً من المواقف السوفياتية يكتسي قدراً لا بأس به من الضبابية، ولم يجر، بعد، تحديده بشكل قاطع. من هنا، مثلاً، أكد غورباتشيوف، ان بلاده مستعدة للعمل مع الولايات المتحدة الاميركية «في شكل بنّاء» لتسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي. ورأى ان لا «حل آخر» لأزمة الشرق الاوسط، الّا بتدويلها. وأضاف انه، مع بداية عملية التدويل، «سيكون في امكاننا استئناف العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل». وعبّر عن اقتناعه بأن الجانب الاميركي راغب في الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، ودافع عن الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، قائلاً: «دعوني اتحدث لكم عنه؛ اعتقد بأنه الشخص الذي يمكنكم ان تعملوا معه الحل؛ اذ يمتلك القدرة على جعل ذلك ممكناً. واذا استطعتم العمل معه، فاعتقد بأن موقفه سيتطوّر أكثر» (**الحياة**، لندن، ٢ ـ ٣/٦/١٩٩٠).

وفي تطوّر لاحق، أعلن الزعيم السوفياتي، في مؤتمر صحافي مشترك مع الرئيس الاميركي، جورج بوش، عن ان بلاده تتعرض لـ «وابل من الانتقادات العربية». وأضاف: «اننا نواجه الوضع الآتي: بعد هذه الاجتماعات والمحادثات مع الرئيس الاميركي في شأن هذا الموضوع [هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل] أقول: امّا ان تبدّد اسرائيل قلقنا وتخرج باستنتاجات معيّنة، وامّا علينا ان نراجع المسألة في اطار ما يمكننا ان نفعله، بالنسبة الى اعطاء سمات الخروج لليهود السوفيات الى اسرائيل» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٤/٦/١٩٩٠).

يبقى السؤال الأهم الذي يجب ان يطرح: هل يمكن، في ضوء ما قاله غورباتشيوف، توقّع عمل جدّي من جانب موسكو في اتجاه القيام بتحرك مشترك مع واشنطن لتنشيط عملية التسوية، أم ان الامر كله لا يتعدّى محاولة بارعة من الرئيس السوفياتي لـ «رفع العتب» عن الكرملين؟

في هذا الشأن، يتّفق عدد من المراقبين على ان ثمّة اسباباً عديدة تحمل على الاعتقاد بأن شيئاً لن يتغيّر في تدفق المهاجرين اليهود السوفيات الى اسرائيل نتيجة تلميح الزعيم السوفياتي الى احتمال تأجيل اصدار تأشيرات تسمح بهجرة اليهود، اذا لم تعط اسرائيل ضماناً بعدم توطينهم في الارض المحتلة. السبب الاول، يتعلق مباشرة بالاقتصاد السوفياتي وحاجة موسكو الى توسيع حقل تجارتها مع الولايات المتحدة الاميركية. فقد ربطت واشنطن، منذ سنوات، مسألة منح الاتحاد السوفياتي صفة الدولة الاولى الجديرة بالافضلية والرعاية في المجال التجاري بسماح موسكو بتدفّق اليهود السوفيات الى الخارج. وبعد اتفاقيات هلسنكي التي نصّت، بين أمور أخرى، على حرية التنقّل والهجرة لجميع الافراد، عقّدت واشنطن الوضع باعلانها عن اغلاق الباب أمام اليهود السوفيات الراغبين في الهجرة الى الولايات المتحدة الاميركية، قاصدة، بذلك، توجيههم، وإنْ بصورة غير مباشرة، الى اسرائيل (**المصدر نفسه**).

السبب الثاني الذي يحمل على الاعتقاد بأن كلام غورباتشيوف لن يغيّر شيئاً هو استمرار وصول المهاجرين السوفيات الى اسرائيل يومياً بالمئات، الامر الذي يخلّ بالميزان الديمغرافي اليهودي ـ الفلسطيني ضمن حدود فلسطين في شكل مادّي ملموس. امّا «الضمان» الذي طلبه من تل ـ أبيب بعدم توطينهم في الارض المحتلة، فمن الصعب معرفة صيغته، بوضوح، أو النظر الى جدواه بأي نوع من اليقين (**تايم**، ١٨/٦/١٩٩٠، ص ٣٨).

على الرغم من ذلك، فقد تكاثرت ردود الفعل الاميركية على تهديد غورباتشيوف بوقف الهجرة اليهودية من بلاده. في هذا الخصوص، أعرب مستشار الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي، برينت سكوكروفت، عن قلقه، مشيراً الى انه «لهذه الاسباب بالذات لن يرسل الرئيس بوش الاتفاق التجاري الموقّع مع الزعيم السوفياتي الى الكونغرس قبل اقرار قانون الهجرة في الاتحاد السوفياتي». من جهته، قال بيكر، في تصريحات تلفزيونية، انه «غير قلق» من التهديد الذي أطلقه غورباتشيوف،